الأطفال اللاجئون الفلسطينيون في لبنان وجائحة كورونا

طفولة متوارية خلف أزمات متراكمة

(الأزمة الاقتصادية، التعليم، الصحة النفسية)

دراسة ميدانية

أيار 2020

الأطفال اللاجئون الفلسطينيون في لبنان وجائحة كورونا

مقدمة:

كشفت جائحة كورونا عمق الأزمة الإنسانية التي يعاني منها اللاجئون الفلسطينيون في لبنان عموماً، والأطفال خصوصاً. وأظهرت المؤشرات والبيانات المتوافرة، قبل الجائحة وخلالها، أن ثمة طفولة متوارية خلف أزمات إنسانية متراكمة. وإزاء هذا التدهور المريع في حقوق الأطفال اللاجئين، تبرز تحديات هائلة تواجه الطفولة، ولا يمكن التغلب عليها بذات النمط التقليدي الذي كان متَّبعاً خلال الفترات السابقة.

وفي كل أزمة، يبدو جلياً أنّ وكالة الأونروا مقصِّرة تقصيراً كبيراً إزاء اللاجئين الفلسطينيين. ورغم أن وكالة الأونروا تقول إنها تعاني من أزمة مالية حادة، إلا أن المسؤولية تبقى على عاتقها.

كذلك لا يمكن غضّ الطرف عن دور السلطات اللبنانية في استنزاف البنية المجتمعية والإنسانية للاجئين الفلسطينيين خلال عقود من الزمن، من خلال سلسلة من القوانين والإجراءات جعلت حياة اللاجئين الفلسطينيين بائسة إلى أبعد الحدود، وباتت المخيمات الفلسطينية بيئة غير صالحة للسكن بالمعنى المهني.

وتبحث الدراسة أيضاً في قضايا إنسانية تتعلق بحياة أطفال اللاجئين من خلال تسليط الضوء على الأسباب الكامنة وراء الوضع الإنساني المتردي. وتعرض الدراسة في محور خاص أرقاماً

الأطفال اللاجئون الفلسطينيون في لبنان وجائحة كورونا

وإحصاءات حول الأزمة الاقتصادية ما قبل كورونا وخلالها. ثم تبحث في محور طويل الانعكاس المباشر لجائحة كورونا على حياة الأطفال الفلسطينيين، ولا سيما الجانب التعليمي والصحة النفسية. وتتحدث في هذا المحور عن المسؤوليات المباشرة المُلقاة على عاتق وكالة الأونروا ثم الأهل. كذلك تسأل الدراسة عن واقع الأطفال الفلسطينيين بموجب اتفاقية حقوق الطفل الدولية.

اعتمدت الدراسة على المنهج المقارن، والبحث المكتبي، وكذلك المقابلات الميدانية، فضلاً عن استخلاص الدروس والعِبر من خلال برنامج الدعم النفسي والاجتماعي الذي تنفذه (شاهد) حالياً بدعم من منظمة اليونيسف.

وتخلص الدراسة إلى جملة من التوصيات لكل الجهات المسؤولة.

وتأتي هذه الدراسة نتيجة جهد مشترك بين المؤسسة الفلسطينية لحقوق الإنسان (شاهد) وبين منظمة الأمل الجديد السويدية.

الأطفال اللاجئون الفلسطينيون في لبنان وجائحة كورونا

أولاً: الأزمة الاقتصادية المزمنة والأطفال الفلسطينيون في لبنان (أرقام وإحصاءات)

أخذ العالم وعداً على نفسه بأن يقوم بكل ما بوسعه لحماية الأطفال ونشر حقوقهم – حقهم في البقاء والترعرع، وحقهم في التعليم والنمو، وحقهم في أن تُسمع أصواتهم وأن يتمكنوا من تحقيق أقصى ما بإمكانهم[1]. لكن منذ أكثر من سبعين عاماً وأطفال فلسطين يعيشون حياة مليئة بالمعاناة وحرمانهم أبسط الحقوق التي نصّت عليها مختلف الاتفاقيات الدولية، وخاصةً اتفاقية حقوق الطفل.

ففي لبنان، منذ النكبة عام 1948، يعيش اللاجئون الفلسطينيون في مخيمات اللجوء واقعاً معيشياً مريراً يفتقر إلى أدنى مقومات الحياة الإنسانية. فهم محرومون حقوقَهم المدنية والاجتماعية والاقتصادية بسبب القوانين اللبنانية الجائرة التي تحرم اللاجئ الفلسطيني العمل والتملك وغيرها، ما أدى إلى جعل الفئة الكبرى من اللاجئين الفلسطينيين يعيشون في فقر مدقع وفي منازل غير صالحة للعيش. وهذا الواقع انعكس على الأطفال الذين يشكلون نسبة 37.9% من اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، بحسب ما أظهره التعداد السكاني العام عام 2017.

هذه الشريحة الكبيرة من اللاجئين الفلسطينيين تعيش في ظروف قاهرة تحدّ من قدرتهم على بناء مستقبلهم وصقل شخصياتهم، بدءاً من تدني المستوى المعيشي للاجئين الفلسطينيين، بحيث أظهرت المعلومات المنشورة في الموقع الرسمي لوكالة الأونروا أن معدلات الفقر العام تصل إلى حدود 73% داخل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، فيما تصل معدلات البطالة إلى 56%[2].

كذلك ترتفع معدلات انتشار انعدام الأمن الغذائي (المتوسطة والشديدة)، حيث يتمتع 38% من فلسطينيي لبنان بالأمن الغذائي، فيما يعاني 38% من انعدام الأمن الغذائي المتوسط، و24% من انعدام الأمن الغذائي الحاد. وهناك نسبة مقلقة تبلغ 27% من الأطفال بين فلسطينيي لبنان يعيشون في أسر تعاني من انعدام الأمن الغذائي الشديد[3].

وبحسب تقديرات منظمة اليونيسف للطفولة، ترتفع معدلات التسرب بين الطلاب الفلسطينيين في لبنان بشكل استثنائي، وترجع ذلك إلى الوضع الاجتماعي الاقتصادي العام، وكذلك إلى القيود

1 انظر موقع اليونيسيف على الرابط التالي: https://www.unicef.org/arabic/crc/34726_34730.html

2 وكالة القدس للأنباء، الأونروا: 65% من الفلسطينيين في لبنان عاطلون من العمل، ومعدلات الفقر العام تصل إلى 37%، 8102/21/01، انظر الرابط https://goo.gl/8g8Zuq.

3 القدس العربي، تقرير حقوقي: 65 في المئة معدل البطالة بين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، وأكثر من 07 في المئة فقراء، 8102/21/8، انظر الرابط https://goo.gl/9Cc9nt.

الأطفال اللاجئون الفلسطينيون في لبنان وجائحة كورونا

القانونية المفروضة على اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، الأمر الذي ساهم بزيادة المتسربين من المدرسة الذين لا يرون فائدة في التعليم. فكانت نسبة كبيرة من الأطفال في سنّ السابعة مسجلين في المدارس، أما في سنّ الـ 16 عاماً، فإن نصف أطفال اللاجئين الفلسطينيين قد تسربوا من المدرسة.

صافي التسجيل في المدرسة الابتدائية (6–11 سنة) هو 96% وتنخفض هذه النسبة إلى 63% في المدرسة الإعدادية (12–14 سنة). أما في المرحلة الثانوية (15–17 سنة)، فإن نسبة التسجيل في المدرسة لا تتعدى الـ 40% الأمر الذي ينذر بالخطر[4].

إن سياسة الحرمان التي تمارسها الدولة اللبنانية ضد اللاجئين الفلسطينيين تطاول مباشرةً الأطفال الفلسطينيين لجهة حقهم في الصحة والتعليم واللعب والمسكن الصالح... كذلك إن تقليصات الأونروا وعدم قدرتها على الوفاء بالتزاماتها الإنسانية تجاه الأطفال أيضاً جعلاهم عرضةً للأمراض والآفات الاجتماعية. إنّ المخيمات الفلسطينية لا تصلح للعيش الآدمي، والأطفال هم الأكثر تعرضاً لهذا الحرمان.

4 The Situation of Palestinian Children in The Occupied Palestinian Territory, Jordan, Syria and Lebanon, see the link https://www.unicef.org/oPt/PALESTINIAN_SITAN-final.pdf.

ثانياً: واقع الطفل الفلسطيني في ظل جائحة كورونا:

بدأ فيروس كورونا بالانتشار منذ كانون الأول 2019 بدءاً من مدينة ووهان الصينية، وسرعان ما انتشر إلى باقي دول العالم كالنار في الهشيم. وبالرغم من كل الإجراءات الاحترازية التي تتخذها معظم دول العالم للحدّ من انتشاره، إلا أن فيروس كورونا يستمر بالانتشار وبحصد الأرواح، حيث بلغ عدد المصابين أكثر من مليونين و600 ألف مصاب وأكثر من 184 ألف وفاة.

أما في لبنان، وبحسب وزارة الصحة، فإن عدد الإصابات منذ تاريخ انتشار الفيروس فيه وهو 21/2/2020 وحتى تاريخ 7 أيار 2020، قد بلغ 784 إصابة و25 حالة وفاة[5].

إنّ فيروس كورونا سبّب إغلاقاً عاماً وإيقاف مختلف مناحي الحياة، خوفاً من انتشاره. ففي لبنان، وبعد إعلان التعبئة العامة، توقفت جميع الأعمال والمدارس، ما أدى إلى تفاقم الأزمات المعيشية في لبنان، خصوصاً أن لبنان كان قبل ذلك يعاني من أزمة اقتصادية واجتماعية، وكانت البلاد تشهد ثورة ممتدة منذ شهر تشرين الأول. إنّ هذه الأزمات المتتالية التي تعيشها البلاد انعكست سلباً على اللاجئين الفلسطينيين، لتزيد من معاناتهم، وتزيد من نسبة الفقر والبطالة، وقد طاولت الأطفال، لتزيد أيضاً من معاناتهم. ففي ظل هذه الجائحة، توقفت المدارس وتقيدت حركة الناس. فكيف يتلقى هؤلاء الأطفال تعليمهم؟ وهل هذا التعليم يلبي الحاجة المطلوبة؟ وهل هم ملتزمون التعبئة العامة؟ وما دور الأهل والمجتمع المدني تجاههم؟

5 انظر موقع وزارة الصحة العامة اللبنانية على الرابط التالي:
https://www.moph.gov.lb/userfiles/images/News/Monitoring/covid%20daily%20summary%207-5-2020.jpeg

- على صعيد التعليم:

بعد إعلان التعبئة العامة وإقفال المدارس، اتجهت المدارس – ومنها الأونروا – إلى التعليم الإلكتروني من خلال برامج مختلفة. وسواءٌ أكان هنالك جاهزية تقنية أم لا، فمعظم الناس متفقون على تطبيق التعليم الإلكتروني، ولو جزئياً، حتى لا تتوقف عملية التحصيل العلمي. وبالرغم من أن هذه الآلية في التعليم جديدة ومفاجئة للأهل، حيث يجدون أنفسهم أمام تحدٍّ جديد لتقديم الدعم لأبنائهم لإتمام تعليمهم، وخاصة مَن قد يجد صعوبة في تنفيذها، إلا أنها بدأت تأخذ حيزاً كبيراً، وبات بإمكان معظمهم تطبيقها والتعامل معها بسهولة. وبالنسبة إلى مدى فعاليتها، فإنه بعد أن تواصلت مؤسسة (شاهد) مع عدد من المدرِّسين، كان جوابهم أن المستفيدين قد لا يتخطون نسبة الـ 50% من عدد الطلاب. ويعود ذلك إلى أسباب عديدة، منها:

1. إيجاد بعض الأهل صعوبة في تشغيل البرامج التعليمية.
2. بسبب الأوضاع الاقتصادية الصعبة، بعض العائلات يوجد لديها هاتف ذكي واحد، وهو غير كافٍ لمتابعة تعليم جميع الأطفال الموجودين في المنزل.
3. ضعف جودة الإنترنت، ما يشكل صعوبة في المتابعة المباشرة لشرح المواد التعليمية،

وما قد يؤثر سلباً في الأطفال، أنّ المدرسة ببعدها المكاني والاعتباري، تأخذ حيّزاً تربوياً كبيراً في حياة الأبناء، فهي المكان الذي يتعامل فيه الطفل مع أقران يشابهونه في العمر والاهتمامات والثقافة والسلوكيات. وكل هذه عوامل مؤثرة وصانعة في شخصية الطفل، إضافة إلى تعامل الطفل مع المعلم كمصدر للمعلومة أو ميسِّر للوصول إليها. كل هذا يترك أثره في شخصية الطفل[6].

كيف يمكن الأهل أن يجعلوا عملية التعليم سلسة وجاذبة لأطفالهم:

- التهيئة النفسية: حيث ينظر الكثير من الأطفال في العالم إلى فترة إغلاق المدارس على أنها إجازة للعب والاستمتاع، لذا يجب التشديد على ضرورة تهيئة الأطفال نفسياً، بأن الدراسة مستمرة، ولو عن بعد، من طريق الالتزام قدر المستطاع بروتين شبيه بذلك الذي كان متَّبَعاً أيام الدوام المدرسي، وإن مع تخصيص ساعات أقلّ للدراسة وجعل العملية ممتعة قدر الإمكان.

- التهيئة المادية: إذ لا بد أن يحاول الأهل، قدر المستطاع، توفير كل ما يلزم للطفل من كتب وأدوات ساعة جلوسه للدراسة، حيث إن هذا الأمر يمكّن الطفل من المحافظة على تركيزه، ويقلّل من تشتّت انتباهه، ويجعل الحدود بين وقت الجلوس للدرس، ووقت اللعب واضحة.

- تنظيم وقت الطفل والاهتمام بصحته البدنية والنفسية، وتخصيص وقت للترفيه وقضاء وقت مع العائلة.[7]

انعكاس أزمة كورونا والحجر المنزلي على الصحة النفسية للأطفال:

بينما شكّل تفشي فيروس كورونا والإجراءات المتعلقة به ضغوطاً كبيرة، اقتصادية واجتماعية ونفسية، على عالم الكبار، يجد الأطفال أنفسهم الحلقة الأضعف نفسياً للتعامل مع هذا الوضع الجديد الذي تغير فيه كل شيء، أو كاد. وفي مثل هذه الأوقات، يلجأ الأطفال إلى البالغين لفهم ما يجري حولهم وبثّ الطمأنينة في نفوسهم الصغيرة.

وفي ضوء إصابة مجتمعات بأكملها بالقلق، في ظل تفشي فيروس كورونا، ينعكس هذا القلق على الأطفال الذين يختلفون في طرق التعبير عن هذه المشاعر، بحسب فئاتهم العمرية، وتبعاً للاختلافات الفردية بين طفل وآخر. ومن الأعراض التي يتعرض لها الأطفال والتي يجب على الأهل الانتباه لها:

6 انظر موقع الجزيرة على الرابط التالي: https://bit.ly/3cPgfKs

7 انظر موقع CBB على الرابط لتالي: https://www.bbc.com/arabic/interactivity-52294522

- أعراض مزاجية، كأن يصبح الطفل أكثر عصبية أو أسرع استثارة أو أن يبكي بكاءً غير مبرَّر أو يغلب عليه الحديث عن الخوف.

- نقص الانتباه وضعف التركيز وسهولة التشتّت.

- تغيرات سلوكية واضحة، كزيادة الحركة أو نقصانها، كثرة الجدال، انخفاض الرغبة في اللعب مع الأقران، وزيادة التعلق بالوالدين أو أحدهما.

- اضطرابات النوم.

- سمات عُصابية، مثل قضم الأظفار ومصّ الإبهام وغيرهما.

وفي المخيمات الفلسطينية هناك نمطان يعيش بهما الأطفال خلال الحجر:

النمط الأول: حيث ينشر الأهل الطاقة الإيجابية داخل المنزل وطمأنة أطفالهم، وحثّهم على قيام النشاطات الخارجية داخل المنزل، مثل ممارسة الرياضة واللعب والاستيقاظ باكراً ومشاركة الأهل في

الأعمال المنزلية والدراسة وغيرها. وهؤلاء يشكلون نسبة قليلة من العائلات داخل المخيم.

النمط الثاني: يعود إلى العائلات التي لا تلتزم الحجر، حيث نرى بعض الأطفال في الشوارع، ولا يتمتعون بالتوعية بشأن فيروس كورونا وأهمية الحجر المنزلي، وإن كانوا في المنازل، فإنهم يقضون معظم وقتهم في مشاهدة التلفاز أو اللعب بالجهاز الخلوي، ما يؤثر سلباً في نموهم ويحدّ من تطورهم، وقد يؤدي إلى تعلمهم عادات سلبية من الإنترنت، وخصوصاً في غياب إشراف الأهل. ويعود ذلك إلى عدة أسباب، أهمها:

1. أن معظم المنازل في المخيمات صغيرة جداً ولا تتسع لأفرادها، فلا يوجد مكان للعب أو القيام بأي نشاطات تعليمية أو ترفيهية.

2. الحالة النفسية للأهل والقلق الذي يعيشونه نتيجة الأوضاع الصعبة التي يعيشها لبنان عموماً واللاجئون الفلسطينيون خصوصاً.

3. الحالة الاقتصادية الصعبة والفقر المدقع الذي تعاني منه الكثير من العائلات، حيث لا تمكّنهم من شراء مستلزمات النشاطات والألعاب الهادفة.

ما دور الأهل للحدّ من قلق الأطفال:

تختلف طرق التعامل مع هذا القلق أيضاً من طفل إلى آخر، لكن بشكل عام، تقدّم منظمة الأمم المتحدة للأمومة والطفولة – اليونيسف طرقاً يمكن من خلالها الآباء والأمهات دعم أطفالهم للتعامل مع ما يمرون به من مشاعر خلال هذه المرحلة، تشمل مراقبة البالغين لسلوكهم، ومحاولة البقاء هادئين قدر المستطاع، إضافة إلى تشجيع الأطفال على التعبير عن مشاعرهم وطمأنتهم من خلال التحدث إليهم عن الفيروس بهدوء وروية.

وتدعو المنظمة البالغين إلى محاولة صرف نظر الأطفال عن مشاعر القلق والخوف، بممارسة أنشطة محببة إليهم، والاستمرار بالحياة الطبيعية قدر الإمكان للتخفيف من حدة التغييرات التي يمرّ بها الأطفال.[8]

8 انظر موقع CBB على الرابط التالي: https://www.bbc.com/arabic/interactivity-52294522

اتفاقية حقوق الطفل:

أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1989، اتفاقية حقوق الطفل، التي دخلت حيّز التنفيذ في الثاني من شهر أيلول/ سبتمبر 1990م. وتُعَدّ اتفاقية حقوق الطفل الصك القانوني الدولي الأول الذي يلزم الدول الأطراف من ناحية قانونية بدمج السلسلة الكاملة لحقوق الإنسان، أي الحقوق المدنية والسياسية، إضافة إلى الحقوق الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وتتضمن الاتفاقية 54 مادة، وبروتوكولين اختياريين. وهي توضّح بطريقة لا لَبْسَ فيها حقوق الإنسان الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الأطفال في أي مكان ودون تمييز، وهذه الحقوق هي: حق الطفل في البقاء والتطور والنمو إلى أقصى حد، والحماية من التأثيرات المضرة، وسوء المعاملة والاستغلال، والمشاركة الكاملة في الأسرة، وفي الحياة الثقافية والاجتماعية. وتتلخص مبادئ الاتفاقية الأساسية الأربعة في: عدم التمييز وتضافر الجهود من أجل المصلحة الفضلى للطفل، والحق في الحياة، والحق في البقاء، والحق في النماء؛ وحق احترام رأي الطفل.[9]

9 انظر موقع اليونيسيف على الرابط التالي: https://www.unicef.org/arabic/crc/34726_50765.html

رابعاً: توصيات:

إنّ المؤسسة الفلسطينية لحقوق الإنسان (شاهد) تدعو الجهات المسؤولة إلى ما يأتي:

1. **الأونروا**

- تقديم المساعدات المالية والعينية للاجئين الفلسطينيين.
- توفير المواد المعقمة للعائلات الفلسطينية في المخيمات.
- إعداد مواد لتقديم المعلومات الخاصة بأهمية الحجر المنزلي وكيفية الوقاية من فيروس كورونا.
- تقديم الرعاية في مجال الدعم النفسي الاجتماعي، ونشر رسائل في هذا المجال للأطفال.
- توفير أنشطة آمنة وملائمة للأطفال لتشجيع النظافة الصحية قبل تفشي المرض وفي أثناء تفشيه، بما في ذلك تطوير ملصقات ورسومات معلوماتية تستهدف الأطفال وذويهم.
- توفير القرطاسية اللازمة للأطفال، للقيام بالأنشطة المختلفة داخل المنزل، لزيادة الجودة التعليمية.

2. منظمة التحرير الفلسطينية

- تنسيق الجهود الفلسطينية المحلية وإيجاد خلية أزمة صحية واجتماعية لمواجهة التحديات المتعلقة بكورونا.
- الضغط الفعال على المؤسسات الدولية العاملة في لبنان، ولا سيما وكالة الأونروا، لحثّها على القيام بواجباتها القانونية والإنسانية تجاه اللاجئين.
- تفعيل الجهود الدبلوماسية لحثّ المجتمع الدولي على تقديم الدعم الإنساني للاجئين الفلسطينيين.

3. الدولة اللبنانية

- تعديل القوانين والقرارات الناظمة للوجود الفلسطيني في لبنان، بما يتيح للاجئين

الفلسطينيين عموماً، وللأطفال خصوصاً حياة إنسانية كريمة بعيداً عن أجواء الضغط النفسي والحرمان والتهميش.

4. الأهل

- عدم مشاهدة النشرات الإخبارية أمام الأطفال لضمان عدم تعرض الأطفال لأزمات نفسية.
- تنظيم مواعيد نوم الطفل للحفاظ على صحته.
- تنظيم وقت الطفل حتى لا يشعر بالملل، ومشاركته في الأعمال المنزلية الخفيفة لكي يتعلم الاعتماد على ذاته.
- مساعدة البالغين لأطفالهم في مشاركتهم لمشاعرك والتعبير عنها من طريق رسم الصور وكتابة القصص.
- تذكير الأطفال بغسل أيديهم باستمرار بالماء والصابون بعد اللعب وقبل تناول الوجبات، والابتعاد عن لمس عيونهم وأفواههم للحفاظ على صحتهم.
- الابتعاد عن القلق والتوتر والخوف لكي لا تنتقل إلى الأطفال فيشعروا بها، وهذا يؤثر في مناعتهم[10].

10 انظر أخبار اليوم https://bit.ly/2WGi45J